

لا يرى الدكدك قطعاً كبقية أنواع الطريدة في هذه الصحراء. أما يرى منفرداً او ازواجاً وندر مشاهدة زوجين يريان سوياً وقد روى لي بعض الاهلين انه نظر مرة واحدة ثلاثة ازواج من هذا الحيوان تمشي سوياً وقد قص ذلك على ذويه فلم يصدقوه لمعرفتهم بقلّة تآلف هذا الحيوان. أما الاماكن التي يفر فيها وجود الدكدك فهي صحراء الصومال العيسى واخص منها بذكر سهول لسحرات وآدأ كالألا وآرثو حيث يجد الصياد الدكدك يقفز بين الادغال وعلى حافة الانهار الناشفة. وقد رام بعض الافرنج ان يدجنوا هذا الحيوان كالغزال المعروف فلم يصبوا الى اليوم المرمى وقد أتى حاكم مستعمرة جيبوتي برضيع منه فعل ما بوسعه لتربيته وكانت هناك عترة ترضعه لبنها فعاش اشهرًا قليلة ومات وما ذلك إلا لان جنسه معتاد على كثرة الحر والحريّة

## يَمِينُ الْعَلِيِّ

رواية تاريخية للاب س. ت. البسوعي

### الفصل الحادي عشر

خاية عالم

رسالة راسيوس الى صديقه لوسيلوس في بيروت

من مسكر اورشليم في ١٣ يونيو

كأني بك يا صاح ظننتني ميتاً ولولا حراسة العالويين ونظر الآلهة لما كنت كذبت في ظنك. وهاءنذا اليوم قد ابرمت عهداً جديداً مع الحياة بل قول مع الصحة والعافية. ولا إخال صديقتنا العزيز لاونطيوس سها عن مكاتبتك كما كنت اوصيته في ذلك اذ كنت مضجعاً وانا بين حي وميت وكتفي مخلوعة وصدري مفتوح بطعنة جائفة. فترى اني بلغت الى حافة القبر وان رجلي كادت تصعد سفينة الموتى التي يقودها كارون فهذا كله قد اعلمك به لاونطيوس لكن هذا الصديق الصدوق سكت ولا مراة عمّا بذله في سبيل شفائي من الوسائل الفعالة فان انا الآن جالس بالدعة والمناء على

مدخل خيمة طيطس فان الفضل في ذلك لهذا الخلّ الوفي الذي نفعني على قدر اسكولاب اله الطب. وان كنت تعدني في عداد خلّانك فاشكر لهذا الضابط الذي لم يجرمك صداقتي. فانه مع كونه نصرانياً (او بالحري لانه نصراني) قد انتقذني من سهام العدو اذ كادت تذيبني سكرات الموت ثم تولى امر ترميضي كالامّ الحنون فلم يرح خيمتي ساهراً عليّ ليلاً مع نهار الى ان اعلن الطبيب بزوال الخطر وقرب شفائي. فتأسّد ايها العزيز ان فعل لاونطوس لمن افعال السماء التي لا يأتي بمثلها بشر فله درّه ما اعظم نفسه واشرف همتّه

انّ مودّتي لك حملتني على تسطير هذا الرقيم وان لم ابرأ تماماً من جراحي. فانّ يدي الشمال لا تزال خدره مخبولة لا احركها الاّ بألم. فلا علم أيكنني بعد هذا ان اركب جوادي واضبط عنانه في السير. امّا جرح صدري فانه قد اندمل بعد الجهد الجهد

وان سألت عن مسكني فاعلم اني في مضرب قائدنا العظيم طيطس نفسه. وقد قيل لي اني أصبت بجراحي وانا ساع في انتقاده من ايدي اليهود. فاراد ان يظهر لي شكره بان جعلني في خيمته وكان يتأطّف صباح مساء فيمر عليّ ليستنجر عن صحّتي. وفي هذه الأيام اخرجته الحرب على ان يقتل من عيادتي لانه قد فتح قسماً من المدينة وهو لا يظب ساعة عن جنوده لتلاّ يبغتهم العدو فيستنقض همتهم. على اني عارف حق المعرفة ان ابن فيسيانوس لم ينسني وان جراحي قد مهدت لي سبل المعالي اكثر من عشرين موقعة ابلي فيها البلاء الحسن. ومن ثم سواه عليّ اخوض معامع الحرب ام لا

ولعلك تتعجب من امري فنقول: أهذا راسيوس الضابط الذي كان يتشوّق الى الحرب العوان؟ أفنسرّ بجراحه لينجو من احوال الحرب؟ كلاً لا تروني الحرب ولا تهدّ عزيمتي ويلاتها وانما أسرّ لكوني وقعت كريعاً دون ان أهرق شيئاً من دم قوم. شاركتم في الجنسية فتاة من بيروت تميل اليها عواظني. فكيف يا ترى ترضى بان تقترن بمجندي تاطّخت يداؤه بدماء شعبها. فاشدتك الالهة بان تبتلعها ان الضابط الأسود بجحها بري من دم اليهود مع كونه لم يقصر في واجباته الجندية و خاطر بنفسه كهر لا يهاب الموت

هذا ولو كانت قواي تسمح لي بالعودة الى بيروت لطلبتُ من قائدنا رُخصةً اقضيها في جواركم فأبّل من سقامي قرب الاحباب . لكنّ الاحوال تقضي عليّ بان ابقى هنا الى آخر الحرب

ويا لها من حرب مشؤمة فأننا لم نعد نقاتل عدوًا يحاربنا فنحاربه بل نحضر مجزرة قوم حلفوا بان يوتوا في مدينتهم ولا يطلبوا امانًا . ومنذ أيام رأى قائد الجيش مع اركان الحرب انّ الأولى بنا ان نكفّ عن مقاتة رجال يسوا من الخلاص فاستقتلوا فنجتريّ بتشديد الحصار وتضييق نطاقه ونحن نعلم ان الجوع قد برّح باهل اورشليم واجهدهم فيقتك بهم فتكًا ذريعًا . هذا فضلًا عمّا في قلوب زعمانهم من الخزازات التي تحمل بهم على شهر السلاح على اقربائهم

والحقّ يقال انّ حالة هذه المدينة التي كانت من آهات المدن وحواضرها لمّا قتت الالكباد . فاعلم يا صاح أنّنا لمّا باشرنا الحصار منذ ثلاثة اشهر كان فيها عدد اليهود نيفًا والّف الف اتوا مدينتهم المقدّسة لعيد الفصح واليوم قد مات منهم بالحرب والجوع اكثر من نصفهم . امّا حالة الاحياء فهي اسوأ من حالة الموتى . فقري هو لاء الساكنين بين رجال ونساء . وصبيان يهيمنون في وجههم يلتمسون شيئًا يسدّون به رمقهم فلا يكادون يجدون . امّا حامية البلد فانهم يحافظون على الطعام الباقي بحرص لا شيبه به مدّعين انه لهم فقط ليتكّنوا من الدفاع عن اورشليم . بل ربّما يطوفون البلد وهم مدججون بالسلاح فيدخلون البيوت عنوة وينهبون ما بقي فيها من القوت

وكثيرون من الاهلين صوتًا على حياتهم يخرجون ليلاً تحت جنح الظلام من ابواب المدينة فيطوفون حول الاسوار لعلّهم يجدون شيئًا من نفاية طعامنا يتقوّنون به . فيراهم العسس كاشباح موتى خرجوا من قبورهم وجلودهم لاصقة بعظامهم وعيونهم غائرة في حجاجها وفي اوّل الامر كانت تأخذ جنودنا الشفقة عليهم الا انّ طيطس امر بقتلهم لئلا يطول الحصار بذلك

ومع ما صار اليه القوم من سوء الحال وشرّ الدمار لم نسمع حتى الآن أنّهم ينون فتح ابوابهم بل كلهم مصرون على مناصبتنا يحتملون بصبر جميل كل هذه الخطوب حبًا بمدينة ملوكهم . ومنهم من يقضي أيامًا لا يأكل غير اعشاب يابسة كالحيوان او جلودًا يتقنعونها بالاء . فيأكلونها . وغيرهم يعمد الى العظام او قرون البقر

فيدقونها ويتخذونها طعاماً . ومن وجد منهم حيواناتٍ قدرة كالفران والجردان يمدُّ نفسه سعيداً . أمّا البرّ فقد اضحى المدّ منه يباع بوزنة من الفضة ( ٦٠٠٠ فرنك ) على انه صار اليوم اعزّ من الغراب الاعصم

وقد اخبرني بعض من فرّ منهم طالبين الامان خيراً ما كنت لاصدقته لولا انه اكّده لي بايمانٍ محرّجة . وهو ان صوت الطبيعة لم يعد مسموعاً في قلوب كثير من الوالدين قترى الآباء والأمهات يحرمون اولادهم قوتهم ليضنوا به على نفوسهم وربما قتل بعضهم بعضاً على بيته ليلة . ومنذ نحو اسبوع مرّ بعض جنود حنا الجشي في حيّ من احياء المدينة فشئوا قنار شويّ فما كان منهم الا ان كسروا الباب ودخلوا فاذا بامرأة تطعت طفلها شطرين كانت تشوي قسماً منه لتسدّ به جوعها الكيب . فلما رأتهم قدّمت لهم من شرايتها . واذا رأتهم يستغربون فعلها قالت : « هياً كلوا ولا تكن قلوبكم على ولدي احن من قلب امّ عليه »

هذا برض من عدّ ووشل من بحر ولو اردت ان اصف لك كل ما بلغني عن حالة اليهود لطال بي الكلام . وحسبك ان تعلم ان كثيرين من جنودنا الذين لا يعرفون الرحمة قد اخذهم السأم من قتل هولاء الصعاليك فيقولون جهاراً : « انهم جنود وليسوا بجزّارين » وهم يطالبون ان يهجموا على المدينة هجمة اخيرة لئلا يروا اعداءهم في هذه الحالة من الضنك والمجاعة

على ان بعضاً من اصحابنا وهم المسيحيون يسعون طاقة جهدهم في مساعدة هولاء النكوبين . اخصّ منهم بالذكر صديقي لاونطيس الذي يجارب في ساحة القتال كالاسد القسور الا انه بعد الوقائع اعطف من امّ علي ولدها . فاذا رأى احداً من غرقي اليهود مهاجراً الى معسكرنا دافع عنه لئلا يصبه اذى وسدّ رمته . وقد عاينته يوم امس وهو يعطي رجلاً منهم اكبر شطر من طعامه . وقد تعجّبت من ذلك غاية العجب مع علمي بان اليهود يعدّون النصارى كألد اعدائهم . فلعمري اني لا ادرك كيف يكافئهم تبعه المسيح بالحسنى عن بعضهم

ويزيد عجيبي لصنيع هولاء النصارى اذا ما قابلته مع فظاظة جنودنا مع اليهود بل ترى طيطس نفسه الذي ضرب المثل بجلمه يتشدّد على الذين يفرّون من المدينة ويلتجئون اليه فلا يرثي حالهم . فانه منذ خمسة عشر يوماً اخذ منهم ٥٠٠ فعلمتهم على

صلبان ومثل بهم ليكونوا عبرة لآخوانهم ولكن الامركان على خلاف ظنهم . لان الذين رأوهم من داخل المدينة زادوا تحمُّساً وآثروا الموت كرماء . تحت ردم مدينتهم على الاستسلام . واخذوا يشتمون يوسيفوس المورخ الذي جاءهم وسيطاً ليستدعيهم الى طلب الامان

ومن غريب الاتفاق الذي استلقت اليه انظاري صديقي لاونطيوس ان هولاء المتكويين الذين صلّبهم طيطس انما صلبوا فوق الكفة تُعرف بالجلجة وهي التي عليها صلب اليهود منذ نحو اربعين سنة يسوع المعروف بالمسيح الذي يعبدُه النصارى . فكان هذا الاتفاق كآية علوية يحسبها جنودنا النصارى ككتابة لا عاملوا به ذلك البار اذ طلبوا ان دمهُ يجري عليهم وعلى اولادهم واكرهوا بيلاطوس الحاكم على صلبيه

اني اسرع الى ختام كتابي هذا لثلاث فتوتني فرصة ساع يرسلهُ طيطس اليكم ولعل هذه آخر مرة اكتب اليك من اورشليم لان اعمال البريد لم تُعد تجري بنظام والمدينة على وشك السقوط . وان شاءت الالهة نكن عندكم قريباً فتجاذب عياناً اطراف الحديث

ولكن ارجوك الا تنسى تلك الفتاة التي تحن اليها اضلاعي . . . فان امكنتك ان تبلغها اخباري وتعلمها باحوالي فلا تتأخر . . . كما اني انتظر منك ان تفيدني عن امورها ما يحيط به علمك . . . اتراسهت عني او بالحري ألم يستول على قلبها البغض اذ تراني مشغولاً في حرب قومها . فبالله عليك قل لها اني قائم على وفاء العهد واني وددت لو أنقذ قومها مما يحيق به من التهلكة . وعلى كل حال فلتعلم ان يدي لم تريقا نقطة من دم شعبها . فليخطني السعدُ بها قريباً . . . اراني باتها في افكاري فاقبل عذري واعتبرني كصديقك المخلص الضابط راسيوس

\*

كلاً ساء ظن راسيوس اذ حسب ان شدة المجاعة كادت تلقي الى الرومان بمقايد مدينة اورشليم . نعم ان الجوع كان يذيق اليهود اوجاعاً أمر من الموت الا ان عنادهم كان يزداد مع الأيام على قدر ما كان الرومان يأخذون بمخناقمهم على ان طيطس لم يشأ ان تبقي جنوده فارغة بلا عمل بل امرهم ان يملأوا الحنادق التي تحيط بقلعة انطونيا (راجع خارطة اورشليم ص ٦٦٦) فشيّدوا اربعة

جسور ضخمة توصل بينهم وبين ذلك الحصن الحريز . وكان اليهود لما نالهم من خور القوي والمحاط الزميمة يرونهم دون أن يتصدوا لهم وهم يأملون أن الله لا يهمل شعبه بل يصنع خلاص مدينة قدسه عجائب خوارق كما فعل أيام حزقيأ إذ ضرب ملاك الله معسكر البابليين وباد قواهم

ولما كان الثلاثون من شهر حزيران دق النغير في وسط الليل فهجم الرومان من كل جانب على قلعة انطونيا على نور المشاعل والنقأطاب . فسمع اليهود هذه الجلبة ولم يستطيعوا ان يدافعوا عن هذا المعتل المنيع الذي كان كفوءا لرد كل غارات العدو لولا حالة المدافعين من الهزال والضنك . وغاية ما امكنهم فعله أنهم قاموا يترأضون الى جهة الهيكل ليلوذوا بحرمه . على ان الرومان ادركوهم وقتلوا منهم عددا لا يحصى طول ليلهم ولم يكفوا الا عند طلوع الفجر اذ رأوا اكديسا من جثث القتلى وجداول من دمانهم تجري فرويت سيوفهم وكلت ايديهم

على ان الحرب لم تضع اوزارها بفتح قلعة انطونيا فان الرومان لما دخلوا عنوة في هذا الحصن هالهم منظر الهيكل الاورشليمي وهو اشبه بمدينة حريزة منه بمعبد ديني فراه اذ ذلك لأول مرة واذا هو عبارة عن جبل تحدى به الابنية كالسوار بالمصم وكان امامه ثلاثة ارضفة منظمة على شكل درج . فالصيف الاول كان طوله عشرة امتار وكله مبني بنحيت الحجارة الضخمة وفوقه رواق اعمدة من رخام لا يحركها الوف من البشر ( راجع انجيل مرقس ١٣ : ١ - ٢ )

ومن خلال هذه العواميد كان النظر يرى ساحة منسعة مفروشة بالفسيفساء . تدعى ساحة الامم التي لم يسمح اليهود للوثنيين ان يتعدوها . وكان الرومان يرون فوق هذه الساحة ساحة اخرى تعرف بساحة النساء . كن يصعدن اليها باربع عشرة درجة ويدخلن في باب مصفح بالنفضة والذهب علوه عشرون ذراعا

وروا . هذه الساحة في وسط الحرم كانت درجات اُخرى من نحاس قورنتس يسمي باب نيكانور كان يتجه ويقفه عشرون من عمال الهيكل وكان ينفذ منه اليهود الى رواق يبلقهم ساحة بني اسرائيل وهي تنتهي بدرجة واحدة تفصلهم عن ساحة بني لاوي التي فيها كان مذبح التقادم منصوبا لا تزال تسيل فوقه دماء الذبايح ويحرق البخور العطر . وهذا المذبح كان مربعا طول الجانب منه في اسفله ٣٢ ذراعا وعلوه ١٥ ذراعا

وكان الرومان يرون من وراء هذا المذبح واجهة الهيكل عرضها مئة ذراع في مثلها علواً. وكلها من الرخام العالي الثمن عليها صفائح الذهب . فذاك الباب كان لا يدخله غير الكهنة . وكان لهذه الواجهة باب بلا رتاج . عرضه ٧٠ ذراعاً في علو ٢٥ ذراعاً يجتاز منه الكهنة الى رواق الهيكل . وكانوا يدخلون من الرواق الى المقدس يدخل ثانياً عرضه ٣٠ ذراعاً في ١٦ علواً كانت تربته اغصان جنة من الذهب تتدلى منها عناقيد مثلها على طول قامة الانسان

اماً المقدس فيه كانت مائدة « خبز الوجوه » الذي يُعرض كل يوم امام الرب . وهناك كانت المنارة ذات السبع الشعب من الذهب المصمت . ووراء المقدس كان ستر منسوج من الذهب والارجوان وهو الحجاب الذي كانت تتجلى من ورائه عظمة الله وفيه قدس الاقداس

فذاك كان الهيكل الاورشليمي الذي رآه الرومان منتصباً بازائهم كأنه يسخر من قوتهم وجبروتهم . فان كانوا لا يتجاوزون حدوده وينتهكون حرمة فلا يمكنهم ان يعللوا نفوسهم بالانتصار التام

وكانوا يودون لو ابقوا هذا الاثر على هيئته ومحاسنه لولا اضطرارهم الى محاربة اليهود . وكان زعماء اليهود اول من انتهك حى الهيكل وجعلوه مغارة للصوم بدلاً من مقام للصلاة . فان العازر بن سمان كان جعل الهيكل كشكنة لجنوده . وبعد ذلك لما كان يوم الفصح اضحى الهيكل كساحة حرب فان جنود يوحنا الحناني باغتوا اليعازر وذويه وخالطوا دماءهم بدماء الذبايح الشرعية وفي مساء بعض الايام التالية سمع اليهود في قدس الاقداس جلبة ثم اصوات تصرخ : « هلم نخرج من هنا » ومنذ تلك الساعة تشاقلت عليهم بين العلي ( ستأتي البقية )

## مَطْبُوعَاتُ شَرْقِيَّةٌ جَدِيدَةٌ

تاريخ التمدن الاسلامي

تأليف جرجي زيدان منقح الهلال ( الجزء الثاني ١٩٠٣ ص ١٢٢ )

سبق لنا وصف الجزء الاول من هذا التاليف المهم والثناء على صاحبه الاديب